

طعم الغيـلـم

قصة بعام فهد الأديب

في بلدة جنوبية تولد مئات القصص اخوات للحكاية هذه .. ورغم ان تلك البلدة الصغيرة تكاد أن تختفي الاموار الا ان الدودة المتطورة المفكرة مضطرة للعيش ..

واناس هناك فريقان : أحدهما يزحف صعودا مجتازا السلام الاولى في وضع يسمح له بأن يبيع للناس ، ويشترى الناس ويسخر منهم - او قل يحتقرهم لانهم في الدرجات الواطئة .. وثانيهما وهم الغابية والعيش بالنسبة لهم صراع مع هور يفتح فاه كالوحش لتنتزع منه اللقمة .. والوحش غني بقصب مشاع للجميع أحرار في أن يعطوه ساعة شاءوا ..

ولكن لتلك الحرية حدودا تصطدم عندما يأخذ الحرفيون « البواري » (1) الى حوانيت تجار البواري ليعودوا بالطحين والشاي وليسجل ما يتبقى عليهم ديننا يتضاعف رأس الشهر ان لم يسدد ..! والامور تسير نحو الاحسن مع الحاج عبد الرزاق ، فالدوب الضخمة والسفن النهريـة تحبل كل يوم في مشرعه لتجهض أحمالها في بغداد ، والعملية لا تستلزم الجهد ، فالهور ينبت كل عام ، وعمال البواري لا بد أن يطعموا الاطفال بالطحين ..

وفوق ذلك - والحق يقال - فالحاج بلحيته التي تغزوها الفضة رجل عاقل لا يحب إثارة المشاكل مع المتعاملين ، ففي المرات التي يرى فيها ابنه سعيدا يحتد في النقاش مع عمال البواري حول خطأ فسي الدفتر ، كان لا يثور بهم كما يفعل الآخرون ، بل كان يحاول اطفاء السخونة ببرودة أعصابه ..

كان يكفيه القول :

- والله وحجتي نحن لا نخطئ معكم الحساب . هل من العقول أن نسرقكم ؟.. ما قيمة الواحد والاثنين ؟

أمام ذلك الهدوء ، ورغبة العامل في الا يجوع الاطفال من جديد ، كانت عنقايد الغضب تنفطر ، وتستمر الأرقام تتحدث برطانة لا تصدق .. رطانة لا يملك الناس حيالها سوى أن يتسمسوا ببله أو تسليم ويصبصوا من أجل العظمة .. وذات يوم سخن نقاش لا مجد بين اثنين . قال الاول بصوت أشبه بالهمس :

- والله هذا الدفتر يمتلئ غشا . هؤلاء لا يخافون الله !

ويصرخ الآخر :

- عمي . لا تقل ذلك .. هذا حاج شاف بيت الله .. معقولة يسرق منك ؟

وتضع الهمهمات وسط هدبر الطلاء .. الحاج لا ينسى سنة أن يقيم مجلسا للزء عندما تدق الأيام العشرة . وهو يتبرع لمشروع الشتاء ، ورغم أن ذلك يجيء بعد أمر ملحاح من الحكومة فإنه يدفع على كل حال .. وصحيح أن ثمة بعض الهنات التي أثارها مشكلته مع

« جبير » الا انه استطاع أن يفتح المعاتبين بأن الدين قد مرت عليه ثلاث سنوات كافية لان ينفذ منه الصبر ، فيضطر للشكاية ثم اجراءات الحجز . ومع ذلك فقد وجد منافسوه من الطبقة في هذه القضية متنفسا للتعريض في أخلاق الحاج عبد الرزاق .

كان جبير واحدا من الصنف الثاني أقلمت به الحاجة ، فوفقت سفينته بباب الحاج . هتف بذل :

- أيها الحاج أطفالي يجوعون ، والمروءة لا تقبل ..
- لماذا لا تشتغل ؟

- ولكن أيها الحاج كيف أشتغل ، ولا زورق عندي أذهب به للهوور ؟

ويصمت الحاج طويلا .. ثم يرق منه القلب ، فيبيع زورقا انتزعه من مدين لم يسدد له قبلا .. وتفتح صفحة في الدفتر الكبير باسم جبير .

وتمضي الايام وجبير في حيرة ، فما يجلبه من الهور لا يسد سوى العيش . استطاع أن يسدد دينارين من الستة ، ولكن بعد مضي شهر وجد انه غير لاحق بربا « الحاج » مهما جذف . الزورق استهلك قوته ، ولكن الثمن لا يزال منتظا ولا كقول يسد عليه دروب الطمانينة وحفظ ماء الوجه .

وفي يوم فجاء الحجز :

- ولكن ما الذي تحجزون عليه ؟.. هاكم هذه الخربة . واضطر جبير لان يختفي وعائلته ملتجئين بالظلام متجهين الى البصرة .. وحسب منطق تجار البواري فلا تزال قيمة زورق جبيرس تروبو كشيء له ديمومة لا تطولها يد البلى !!

وحكاية جبير تعاد في كل مجلس ويسمعا « طالب » أو بالاصدق « طويلب » اذ هكذا كانت تلذ للناس تسميته ، فهو ابن حمود نوتي السراي القديم ، وتسميته ابنه « طالبا » أمر ليس بالمستساغ ويعد الناس شيئا كبيرا عليه يدل على التخطي والمطاولة !

وكان هذا « الطويلب » ميسالا للمشاكسة واللهو ، استنفد سبعة عشر عاما وهو لا يفارق الاطفال .

كان يلذ له أن يصطاد السلاحف والقيام ثم يرميها بالنهر . وفي يوم وبعد سماعه حكاية جبير رمى صنارتيه فاصطاد غيلمين ، وبطريقة غلمانية قاسية أدخل مسمارين كبيرين في رأسيهما وأخرج طرفي المسمارين في وضع لا يسمح للفيلم بأن يدخل رأسه في ترسه .. ثم رامهما في النهر . وبقي الفيلمان يصطدمان في الجرف بطريقة تشير الضحك كتملين أفرطا في الشراب .

كان المنظر قد أثار بعض الحاضرين ، فانبأوا طالبا على فعلته .. لكنه مع كل تأنيب كان يجيب :

(1) البواري : حصران القصب .

- دعوني معهم ! انتم لا تدرون كم تضر الفيالم المباد .. يكفي
 ان يعضك أحدها ثم لا ينصرف الا ويقلع اللحم الذي عضه ..!
 بعد ذلك وجد طالب في مشاكسة الحاج عبد الرزاق لذة فائقة
 تنسيه متاعب بطالته ، فكان يكيد للحاج مكائد ويوقفه في مطبات كافية
 لتسد رغبات التشفي في نفوس منافسيه من التجار .. ولكن للحاج
 طريقة في أن يسد خروقي أذنيه عن الالتفات لهذه الامور الصبيانية
 حتى وانه لم يكلف نفسه مشقة التصرف على من يرتب عليه تلك
 « المقالب » ..

ومرة ، وحين كان الحاج في العمل ، رن جرس الهاتف :
 - هلو .. من ؟

-

وتخلج شفتنا الحاج . وترتجف يده ، ثم تسعفه السماء
 بالفرج :

- أهلا بك .. أهلا بسعادتكم .

وبدون أن يتلقى جوابا يستمر بالترحيب والاعتذار عن غير
 ذنب .. ثم يسمعه الهاتف أمرا فيه ملاح الصرامة ، فيهنف بدل :
 - نعم بك .. نحن بالخدمة . تشرفنا ..

ساعتها يطفح وجه الحاج بانفعالات متناقضة .. وتجيء الفرحة
 مثلومة ، اذ ان الفداء لموظف كبير ليس بالامر الهين ، وان كان شرفا
 لا يطمع به الا القليلون . وعندما يناقش موضوع هذه الزيارة مع
 سعيد يضع الحاج نير المهمة على عاتقه ، اذ ان سعيدا من الجيئل
 المتحضر نوعا ما العارف بمتطلبات مائدة تحظى بمثل هذا الشرف . لقد
 كان الحاج خبيرا ، فهو يمي انه من أجل الاحتفاظ بأحسن المواقع
 تنبغي التضحية بكميات من العناد .. صحيح ان خطواته لا تثير الغبار

الا ان ثمة بعض الفجوات - فكر الحاج بذلك سامتد - قد تتسرب منها
 رائحة ليست في صالحه ..

لذا فقد كان الحاج مضطرا للعودة مبكرا للبيت ذابعا عادته
 الحبيبة على شرف اللقاء !

وعندما وصل المدير كانت « الصورة » تامة فسي ذهن الحاج ،
 لذا فقد جرت مراسم الاستقبال مثلما يليق « بسعادته » رجب الحاج
 كثيرا بالصورة من غير تحديق بالشكل وردد العبارات التي استحضرها
 في مخيلته عدة مرات . فكر : آه لو رأي سعيد وأنا أصافح سعادته
 لفخر بأبيه وعرف : كيف يجب أن تؤكل الكنتف !

في الدار كان « الفرخ » قد أجاد المهمة وتأكد للحاج من ان
 مخاوفه من هذه الزيارة المفاجئة ستندوب حتما ، ولكن مما يؤسبه حقا
 هو ان سعيدا قد اعتاد الإفراط ، فالطعام يكفي العشرين ، وليس هناك
 غير واحد .

وعندما أعدت المائدة كان الحاج قد كلف ابنه فسي دعوة الضيف
 لغرفة الطعام مشاركة في الشرف . وحين دلف سعيد في الغرفة كانت
 حياة الجالس بالقبعة والرباط تتناقض مع الوجه المألوف .
 حلق سعيد في الوجه طويلا ، ثم صرخ :

- ولكن يا والدي . هذا طويلابن النوتي !

وقبل أن يفيق المدهوشان كان طالب قد انسحب داسما على
 شفثيه ابتسامه التشفي والنصر ..

كان صوت داخله يردد : لقد وفيت دين جبير .

فهد الاسدي

بغداد

التحدي الصهيوني

بقلم جاك دومال وماري لوروا

ترجمة نزيه الحكيم

(اضواء على إسرائيل)

« ان حكاية الذئب والحمل هي ، في خطوطها العامة ، حكاية النازية . وهي كذلك حكاية
 الصهيونية ، هذا الخطر الجديد الذي يهدد اليوم سلام العالم ، ويهدد ما لا يزال للانسانية من قيم
 سامية .. ومطمحنا في هذا الكتاب هو ان نلقي مزيدا من النور على قضية جوهرية ، يرتبط بها مصيرنا
 في ما يأتي من الشهور والاعوام ...

« ان وجهة النظر العربية هي مئة في المئة وجهة العدالة والحق ، وهي ايضا بالتالي وجهة
 الواجب . وكل العرب يعرفون ذلك ، وكثيرون من الاسرائيليين يعرفونه ايضا ، ولكنهم مضطرون للصمت،
 وكثيرون من « اليهود » في العالم يشاركونهم هذا الرأي ...

« وجمال عبد الناصر كان على حق حين قال : « ان الصهيونية ليست تحديا لشعب فلسطين وللامة
 العربية ، بل هي تحد للانسانية » .

هذا ما يقوله مؤلفا الكتاب جاك دومال وماري لوروا اللذان يفضحان في فصول شيقة صادقة
 اساليب اسرائيل وخداعها واجرامها ... والجدير بالذكر ان المؤلفين هما صاحبا كتاب « جمال
 عبد الناصر ، من حصار الفالوجة الى الاستقالة المستحيلة » .

وكتابهما هذا الجديد « التحدي الصهيوني » يصدر في اللغة العربية قبل صدوره في اللغة الفرنسية
 الاصلية .. والواقع ان نشره باللغتين الفرنسية والانكليزية يلاقي صعوبات كبيرة بسبب تأثير أجهزة
 الاعلام الصهيونية على مؤسسات النشر في العالم الغربي كله ... من هنا اهمية هذا الكتاب وخطورته ...

الثلث ٣٠٠ ق.ل.

صدر حديثا